فيلم «السفارة في العمارة» لعادل إمام:

القضايا الكبرى حينما تصبح عرضة للتهريج والتناول الساذج

يحيى القيسي*

■ رغم مرور 110 سنوات على انطلاق السينما في العالم، ووصولها إلى درجات قصوى من العمق في المضامين، والتعبيرات البصرية والأدائية المذهلة، والتقنيات المبتكرة، والمؤثرات التي تحول الخيال إلى حقائق تدب على الشاشة، فإن السينما العربية ما تزال تحبو رغم تاريخها الطويل، عدا عن وقوع غالبية أعمالها في النمطية والتكرار والاجترار، والضحك على ذقن المشاهد العربي الذي لا يجد مناصا بين الحين والآخر من التورط في مشاهدة فيلم يعبر عن روحه باللغة والأجواء وعناصر الأداء، وهذا الأمر يجعل من الابتزاز «النفسي» لهذا المشاهد عنصرا أساسيا فيما لا يرقى التعبير الفني والأدائي غالبا إلى بعض درجات مما وصلته السينما الغربية و الهوليودية تحديدا، ولعل ما جعلني أفتتح مقالتي هنا بمثل هذا التشاؤم أو النقد الذاتي ما شاهدته مؤخرا من فيلم جديد للنجم المصري عادل إمام أثار الكثير من اللغط حوله وهو «السفارة في العمارة» وعده البعض فيلما تحريضيا ضد التطبيع مع إسرائيل، ورأى بعضهم فيه فيلما وطنيا يريد أن يجعل من إمام في شيخوخته مناضلا عتيدا، في حين ذهب عدد من النقاد إلى عكس ذلك، ولكن قراءة متأنية لهذا العمل تجعلنا ربما نخرج بنتائج غير محمودة على صعيد بنية الفيلم وخطابه، ففي ظل النقد المتهالك، والحماس المبالغ فيه لبعض النجوم، ورغبة بعض الكتاب في جعلهم «ملائكة» لا يأتيهم الباطل من بين أيديهم ولا من خلفهم، وفي ظل الشعور في اغلب الأحيان بأن الأمور قد اختلطت لا يملك الباحث المتأني عن الحقيقة، إلا أن يؤشر على مواطن الضعف والقوة بدلا من استعراض تفاصيل الحكاية المبذولة للراغبين، أو المدح المجاني بسبب الوقوع تحت سطوة الوطنية الآنية أو التاريخ الطويل للنجوم...!

دونجوان رغم شيخوخته

ولكن ما الذي يدور في هذا الفيلم الذي كتب قصته يوسف معاطي، وأخرجه عمرو عرفة، وقام ببطولته المطلقة عادل إمام ؟، وكيف تمت معالجة موضوعه الشائك ؟

هنا نمر قليلا على حكايته، إذ نتعرف أول الأمر على صور جوية لمدينة دبي، وترافق هذه المشاهد الأولى السياحية الطابع موسيقى عمر خيرت، ولعل من الضروري هنا الإشادة بقدرات خيرت على تأليف قطع موسيقية معبرة، تناسب الجانب الأدائي للشخصيات، وتنسجم مع أجواء الفيلم، ونتعرف أولا على المهندس المصري شريف خيري «عادل إمام» الذي يعمل في شركة نفط، ونتعرف أيضا على الطفل الفلسطيني إياد، ووالده صديق شريف، حيث يعملان في الشركة نفسها، ويبدو شريف الأعزب زير نساء، وتقوده إحدى مغامراته إلى أن يطرد من العمل ليعود بعدها إلى مصر بعد غياب نحو عشرين سنة في دبي، حيث يكتشف بعد عودته أن شقته الواقعة في إحدى العمارات قد جاورتها السفارة الإسرائيلية، وما بين صدمة وقبول يتعرض شريف إلى مجموعة من الإشكاليات، ويصبح أمام الناس مرة خائنا ومرة بطلا، وخلال كل ما يجري له ينكشف لنا نبض الشارع المصري المناهض للتطبيع، ويحاول الفيلم أن يطرح هذه الإشكالية التي تواجه الجانب الرسمي الممثل بأجهزة الأمن التي تريد أن تؤدي دورها للمحافظة على مصلحة الدولة العليا، ونبض الناس الحقيقي الذي قد يتمثل في الأحزاب المعارضة والمستقلين والجماهير العريضة والناس البسطاء، ويمثل هذا الجانب الممثلة داليا البحيري المدرسة في الجامعة والمناضلة اليسارية،ولكن القضايا الكبرى العادلة قد تقع تحت وطأة تقديمها بشكل ساذج أو ساخر، أو يتم طرحها بشكل غير جدي بحيث تفقد هالتها، وتضع المشاهد في حيرة بين أن يأخذها بشكل جاد أو ينطلق ضاحكا منها أو عليها على سبيل الترويح أو التسلية، وهذا ما يحصل في هذا الفيلم.

وأول المآخذ على هذا الفيلم إصرار عادل إمام على أنه ما يزال شابا يتدفق فحولة، وأنه دونجوان تتهافت النساء عليه، فمن المعروف أن الرجل قد تجاوز الستين بكثير، ويبدو عجوزا في ملامح وجهه وتفاصيل جسده، فلماذا كل هذا الإصرار على أداء هذا الدور المتهافت، ولقد بدا أيضا في فيلمه «عريس من جهة أمنية» بمثل هذا الأمر، وأيا كانت المبررات الكوميدية فإن مثل هذا الدور المكرر قد أصبح مستهلكا، ومثيرا للسخرية، والشفقة معا.

لقد بدت الدوافع النضالية لشريف في هذا الفيلم مقرونة بالجنس، فهو يلاحق المناضلة اليسارية طمعا في قضاء ليلة ساخنة معها لا من أجل الاقتناع بمواقفها، وهو يتعاون مع أمن العمارة التي يقيم فيها من أجل أن يسهلوا له دخول النساء، وتبدو شخصية المرأة في الفيلم عبر نماذجها المطروحة إما أن تكون مناضلة بشعة، ومعقدة، أو بائعة هوى جميلة تنساق إلى وكر شريف بقدميها...!

السخرية من أمل دنقل

إن مناقشة الشخصيات التي حفل بها الفيلم ودورها سيؤدي بالنتيجة إلى كشف تلك الأخطاء أو الخطايا التي ارتكبت، فالنوايا الحسنة، والوطنية الحماسية لا يمكن أن تكون مغلفة بكل هذا الكم من السخرية، والتسطيح من أجل الإضحاك فقط ولا شيء غيره.. وعلي أن أعترف «مرغما» أنني كنت أحد الضاحكين من المواقف الطريفة والأداء التعبيري، وبعض الجمل، ولكن ليست العبرة في هذا الأمر الطارىء بل في مجمل الخطاب والشكل التعبيري «المفخخ».

احدى الشخصيات صحافي حشاش، وهو صديق قديم لشريف، ويبدو الصحافي الذي يعمل في جريدة تدعى «لا» متوترا طوال الوقت، ومستفزا، لا يتوقف لحظة عن الانتقاد، وكأن صورة المعارض يجب أن تكون بمثل هذا السوء، وفي إحدى المشاهد يقرأ مقاطع من قصيدة آمل دنقل الشهيرة التي كتبها احتجاجا على زيارة السادات لإسرائيل ومنها:

«لا تصالح.. ولو منحوك الذهب.. أترى حين أفقأ عينيك.. ثم أثبت جوهرتين مكانهما.. هل ترى؟ هي أشياء لا تشترى..»

وبالطبع فقد تم تناول هذه القصيدة بطريقة ساخرة، وتبدلت بعض عناصرها، لتدل على حجارة الشيشة بدل الجواهر، وهذا ما دفع مجموعة من الكتاب والمثقفين المصريين إلى إصدار بيان يستنكر سخرية الفيلم من قصيدة دنقل، ومسخها، وممن وقع على هذا البيان كما أشارت الصحف «صنع الله إبراهيم، محمود الورداني، يوسف أبو رية، محمود القرني، عبد المنعم رمضان وغيرهم..».

أما الشخصيات اليسارية أو المثقفة في الفيلم فقد بدت عصابية الطابع، ومهووسة بالمعارضة، وموتورة بشكل دائم، فالنساء بشعات، عدا مدرسة الجامعة «البحيري»، وتمتلأ بيوتهم بالكآبة مع صور ماوتسي تونغ وعبد الناصر، وماركس، ولينين، وينشغل بعضهم بقراءة رواية «الحب في زمن الكوليرا» لماركيز فيما ينسى نظافته الشخصية، وهكذا بدت الصورة بشعة ومثيرة للتقزز للمناضل والمثقف، كما أن الشخصيات متناقضة مع رأيها الأول، فهي تدين شريف لمجرد أنه يسكن في شقته جارة السفارة الإسرائيلية، ولكنها لا تتورع عن الذهاب إليه في شقته والاحتفال بعيد ميلاده، وقضاء لحظات سعيدة، وهذا التناقض ينطبق على المناضلين وشلة الأنس كالمحامي والصحافي من الحشاشين، أما صورة رجال الأمن المصريين فقد بدت أيضا غير محمودة، ومثيرة للشكوك، فالضابط يتماشى مع شريف ورغباته، من أجل أن يحتمل جيرانه الإسرائيليين ولا يثير غيظهم، فيما تنتشر عشرات العناصر هنا وهناك في وضع مبالغ فيه من أجل الحماية، ولعل هذا الأمر قد بدا أيضا صارخا في فيلم إمام السابق «عريس من جهة أمنية».

صورة الفلسطيني والإسرائيلي

ولكن ماذا عن صورة الإسرائيليين والفلسطينيين كما ظهرت في الفيلم ما دام أنه يتناول بشكل أساسي هذا الموضوع الشائك؟ يمكن بوضوح ملاحظة صورة الفلسطيني من خلال الطفل إياد ووالده، حيث يعيشان معا في دبي، ويبدو إياد بسنواته التي تقارب العشرة، ذا وعي سياسي يتجاوز عمره، فهو يتحدث عن كوفي عنان، وخافيير سولانا، ويناقش صديقه المهندس شريف خيري في السياسة ويتفوق عليه، ثم ان المشكلة تكمن في الصورة النمطية للطفل الفلسطيني حيث يلبس الحطة السوداء، أو يضعها على كتفه، وهذا أمر مستغرب أن يحصل دائما، فكل اللقطات التي بدا فيها إياد كان يضع فيها الحطة المرقطة على كتفه، وكأنه يغدو بدونها غير فلسطيني، ثم ان لهجته مصرية بالكامل، ووالده أيضا، و خلال أيام معدودة من عمر الأحداث في الفيلم نتعرف على سفر إياد إلى فلسطين، واستشهاده، وتلعب الصدف بشكل واضح في أحداث الفيلم، فمعظم الأحداث تخضع للصدف المثيرة للسخرية، فحين يكتشف شريف استشهاد صديقه الصغير إياد تتبدل مواقفه، ويصبح فجأة مناضلا يطرد السفير الإسرائيلي وضيوفه من بيته، أما صورة هذا السفير الذي قام بدوره الممثل لبيب لطفي، فقد بدت صورة الرجل الواثق من نفسه، المهذب، الذكي، والذي يعرف حق الجار على جاره، حتى أنه يزوره مع قالب كاتو محتفلا بعيد ميلاده، وعموما فإنه من الظلم التعامل مع هذا الفيلم كحالة فنية تستدعي تحليله، والنظر إلى خطابه بعمق، وربما لولا موضوعه السياسي، وردود الفعل التي صاحبته، لمر تماما بكل هدوء مثل أكثر من 100 فيلم قدمها عادل إمام عبر مسيرته، ولا تكاد تحفر في وجدان المشاهد العربي فنيا وموضوعيا شيئا مذكورا، ففي معظم أفلامه يصر إمام إلى العودة إلى حركاته «التي تظهره غبيا أو أزعر» كما في مسرحية «مدرسة المشاغبين» الشهيرة، وتظل تتكرر قسمات وجهه المندهشة، وعباراته الساخرة، ولهذا يبدو ضحكنا أحيانا كمشاهدين بأثر رجعي، أي أننا نتذكر ذلك الضحك المتواصل الذي انتابنا في تلك المسرحية الفريدة، أما على صعيد التقنيات، والمؤثرات، وتوظيف التكنولوجيا الحديثة في هذا الفيلم، فلم يظهر لنا شيئا فريدا، رغم أن المخرج قد وظف لقطات جميلة في بداية الفيلم مصورة من الجو بالطائرة، وكان استخدامه للمجاميع في المظاهرات موفقا أيضا، إضافة إلى لقطة انطلاق الصواريخ على شقة شريف رغم أنها تحولت بعد ذلك للقطة كرتونية الطابع، إذ نال الدخان فقط من شريف ورفيقته رغم أن المكان قد بدا مدمرا بالكامل، والطريف في الموضوع أن غياب شريف عن شقته لبضعة ساعات، جعلت المكان يعود من جديد إلى عهده بقدرة قادر.

وعلى كل حال أجدني غالبا ما أصاب بالندم بعد مشاهدتي لفيلم عربي، ولا سيما إذا بدأت بمقارنته مع فيلم غربي، من ناحية القصة وحبكتها، وأداء الممثلين، والمشهدية البصرية، والمؤثرات، والقدرة على الإقناع، والمواقف الكوميدية الأصيلة، ولهذا لا ينبغي لنا الاستمرار في الشكوى من تجاهل الآخرين لفننا السينمائي ما دمنا لا نحترم المبادىء الأساسية التي تحكم تقديم الفن للناس وأهمها النوعية الجادة، والابتكار، والبعد عن التهريج، والأداء العالي، والقدرة على الإقناع، والكرم في الإنتاج، والمنافسة مع العالم كله لا الاكتفاء بالرقص في العتمة.

لقطة من الفيلم

* كاتب وصحافي أردني
yahqaissi@homail.com

جوليا تعزف على كمان ايطالي قيمته مليون يورو

جوليا (القدس العربي)

ابوظبي ـ «القدس العربي» ـ من جمال المجايدة :

نجحت عازفة الكمان الالمانية «جوليا كامكي» في اقتناء الكمان الذي صنعه المصمم الموسيقي الايطالي «فينسينزو روغيري» عام 1694 والذي يصل ثمنه الى مليون يورو، وقام احد رجال الاعمال الالمان باستثمار هذا المبلغ القياسي في آلة الكمان التي تعتبر من اندر الادوات الموسيقية في العالم، والتي يتوقع ان ترتفع قيمتها المالية بنسبة 10 % سنويا. وقالت جوليا في اتصال هاتفي ان عملية الشراء تمت في لندن الاسبوع الماضي، بحضور خبراء قانونيين ووسطاء تأمين.

واعربت عن سعادتها بالعزف على الكمان الذي صنعه عبقري الموسيقي الايطالي روغيري الذي عاش في الفترة مابين 1663 – 1719 في مدينة سيرمونا الصغيرة شمال ايطاليا. وتعرف تلك الفترة بعصر انتونيو ستارديفاري الذي صنع اهم الات الكمان واغلاها ثمنا في التاريخ.

وتقول جوليا البالغة من العمر 24 عاما، ان الات الكمان المصنوعة في سيرمونا لم يتكرر مثلها في دول العالم ولايزال الخبراء ينظرون اليها على انها من الادوات النادرة باهظة الثمن.

وتعرض في بعض الاحيان في مزادات لندن ونيويورك بملايين الدولارات.

وتروي ان دموعها انسابت على وجنتيها حينما عزفت للمرة الاولى على «كمان روغيري» بقولها «ان صوته يجعلك تنسى هموم الدنيا كلها»!

اول كونسيرت موسيقي قدمته جوليا الى الجمهور وهي تعزف على «كمان روغيري» كان في مقر حكومة بافاريا الالمانية في ميونيخ الليلة قبل الماضية بحضور ادموند شتوبير زعيم المعارضة والمرشح السابق لانتخابات الرئاسة الالمانية وعدد من الوزراء واكثر من 500 شخص اخرين.

اخبار سينمائية

«طريق المجد» يتصدر قائمة ايرادات السينما بامريكا

■ لوس انجليس ـ رويترز: تصدر الفيلم الجديد «طريق المجد» قائمة ايرادات السينما في امريكا الشمالية محققا 13,5 مليون دولار. و«طريق المجد» هو فيلم من انتاج والت ديزني ومستمد من قصة واقعية لجامعة في تكساس كان مدربها هو اول من كسر حاجز اللون بأن كان يبدأ مباريات فريقه في دوري الجامعات الامريكي بتشكيل مكون من لاعبين سود.

وجاء في المركز الثاني الفيلم الجديد «الرحلة الاخيرة» بطولة كوين لطيفة بفارق ضئيل محققا مبيعات تذاكر قدرها 13 مليون دولار.

و«الرحلة الاخيرة» من افلام الكوميديا وهو اعادة تقديم لفيلم سابق بنفس الاسم ويدور حول امرأة تسافر في رحلة بعد ان تعلم باصابتها بمرض قاتل. وحصل على المركز الثالث الفيلم الجديد «الذئب المخادع» محققا مبيعات تذاكر في دور العرض قدرها 12,2 مليون دولار.

والفيلم هو اعادة تقديم بالرسوم المتحركة لقصة ذات الرداء الاحمر الشهيرة وتدور حول طفلة تلتقي بذئب يسعى الى التهامها بينما كانت في طريقها لزيارة جدتها. وهبط من المركز الثاني الى الرابع فيلم «يوميات نارنيا» محققا ايرادات قدرها 1.،1 مليون دولار.

و«يوميات نارنيا» يدور حول اربعة اشقاء يذهبون للعيش في الريف وهناك يتعرفون على عالم نارنيا السحري وتدور مغامرات تنتهي بهزيمة ساحرة شريرة. وتراجع من قمة ايرادات الاسبوع الماضي الى المركز الخامس فيلم الرعب «الفندق» محققا 9,6 مليون دولار.

وأعد فيلم «الفندق» بميزانية بسيطة قدرها اقل من خمسة ملايين دولار ويحكي قصة الصديقين الامريكيين باكستون وجوش اللذين يسافران في جولة اوروبية وتقودهما الاحداث الى فندق يتعرض فيه الضحايا للتعذيب والذبح والتقطيع الى قطع صغيرة.

ملصق فيلم «الرحلة الاخيرة»

ارتفاع الاقبال على صالات السينما في البحرين

■ المنامة ـ يو بي أي: ارتفع الاقبال على صالات السينما في مملكة البحرين بنسبة 17 % خلال العام الماضي مقارنة مع مستوياته في العام 2004 .

وقالت وكالة انباء الخليج البحرينية الرسمية ان شركة البحرين للسينما التي تملك نحو 20 صالة عرض في المملكة رصدت ايضا ارتفاعا بنسبة 15 % في عدد رواد صالاتها خلال عطلة عيد الاضحى التي انتهت أمس الاحد، وذلك قياسا بحجم الإقبال الذي رصدته في المناسبة ذاتها العام الماضي.

وقالت ان السعوديين شكلوا نسبة 75 % من مرتادي السينما البحرينية.

وترتبط السعودية بجسر يصلها بالبحرين.

وأعلنت شركة البحرين للسينما عن عزمها انشاء 10 صالات عرض للسينما في دولة قطر قريبا تستوعب 2000 مقعد.

تارانتينو يفوز بجائزة نقابة الفنون السينمائية السمعية أو البصرية

■ لوس انجلس ـ يو بي أي: اختارت جمعية الفنون السينمائية السمعية والبصرية الاميركية المخرج كونتين تارانتينو لتلقي جائزتها التكريمية الأولى للمخرجين.

وذكرت مجلة دايلي فارايتي أن المجموعة أشارت إلى أن كتابة تارانتينو وإخراجه وإنتاجه على مدى السنوات الماضية اسهمت في نيله الجائزة.

وسيتم تقديم جائزة الانجازات المهنية لمايكل مينكلير، بينما توزع جوائز التقنيات المتعلقة بالصوت في الأفلام في خمسة فئات في مأدبة النقابة في 25 شباط/فبراير في لوس انجلس.

فضائيات

حركة تصحيحية للتصريحات السورية وضحايا الحجّ يعتذرون للسعودية على موتهم!

توفيق رباحي*

■ مسكينة سورية! حتى عندما اراد وزير اعلامها الخميس الماضي التخفيف من الضغوط والدفاع عن رئيسه في موضوع اللقاء (الاستجواب، اختاروا انتم التسمية) مع لجنة التحقيق الدولية، اساء القول او اساء التبليغ او اسيء فهمه، فحدث خلط في وسائل الاعلام والفضائيات اضطر الوزير مهدي دخل الله الى بذل جهد اضافي للحد من خسائر ما نُسب له من كلام.

هذه اولى سمات نظام سياسي مذعور.

كان بامكان الوزير، كما هي العادة في الانظمة التي لا تثق الا في اجهزة اعلامها الرسمية، ابلاغ وكالة الانباء السورية بالتصحيح، او اصدار بيان يشنف به اذاننا المذيعون والمذيعات في نشرات الاخبار المتلاحقة. لكنه لم يفعل بل اختار «الجزيرة». ولا نعرف هل لاختيار «الجزيرة» لتصحيح ما نُسب للوزير من كلام علاقة بالظلم الفضائي الذي شعرت به سورية منذ ارتمى عبد الحليم خدام، من قصره بباريس، في احضان الاعلام السعودي قبل ان يلفظه بكبسة زر من الرياض.

ظهر الوزير جالسا في مكان مريح هادئ، ربما بيته او زاوية مريحة بمكتبه، وليس غير ميكروفون «الجزيرة» ممدودا اليه ليصحح خطأه او الخطأ المنسوب اليه. ولم ير المشاهدون ويسمعوا غير الكلام الموجه للتصحيح دون غيره من الاسئلة والاجوبة.

ربما يصب هذا الاختيار في التوجه السائد باوساط الفضائيات والارضيات المقربة من السعودية (قبل التحول) من ان «الجزيرة» اختارت منذ اندلاع الازمة السورية اللبنانية، مهادنة سورية، بينما اختار الاعلام السعودي، «العربية» على رأسه، «الحياد».

والحقيقة ان ذا الاعلام اختار عدم الحياد حتى لا نقول «التبلي» (التسلبط كما يقول الشوام) على سورية.

وما لا نعرفه ايضا، وهذا الاهم ربما، هو كيف «صحّح» الوزير ما نُسب له من خطأ امام «اسد» سورية، خصوصا وان الخطأ اياه يتعلق بهذا «الاسد».

اذا كان يجب استخلاص درس ما من هذه الواقعة، فهو ان النظام السياسي والاعلام السوري اهترأ.. خلاص! واذا كان لا بد من الدعاء لسورية، فلنقل جميعا: الله يكون معها.

14 في المئة الف!

■ عندما يتحالف الحكام ووسائل الاعلام مستعينين بخطباء مفوهين للي عنق حقيقة ما، فلا مفر الا ليّها.

وهكذا، بحسب القنوات التلفزيونية السعودية مشكورة، يتحمل الحجاج وحدهم مسؤولية اكثر من 360 روحا أُزهقت في ازدحام الخميس الماضي بجسر الجمرات.

وتستحق السلطات السعودية الشكر على ما توفره للحجاج من تسهيلات مادية وامنية يقال لنا انها الاكبر والاهم (اين كانت لما وقعت الكارثة؟).

مثل هذا الكلام سمعناه في الكوارث السابقة وسنظل نسمعه كلما وقعت كارثة بشرية في اي موسم حج في المستقبل. فهو كلام سهل جاهز لا يوجد غيره ولا يناقشه كثيرون ولا احد يتحمل مسؤوليته.

اذن، لن يأتي ابدا اليوم الذي تعترف فيه سلطات الحج بجانب من مسؤوليتها في المآسي فتقول مثلا « بعض الحجاج اخطأوا هنا وبعض رجالنا قصّروا هناك».

مسايرة لهذا المنطق غير السليم، تساوى في القنوات السعودية بضعة ضباط امن وجنود أُصيبوا في كارثة الخميس مع المئات من ضحاياها. وشيئا فشيئا، اصبح وجود وزير الصحة السعودي وامير منطقة مكة قريبا من مكان المأساة وفي المستشفيات، حدثا اهم من المأساة ذاتها.

ومسايرة لنفس المنطق حاول امام المسجد الحرام في صلاة الجمعة (اليوم الموالي للمأساة) التخفيف من وقع الكارثة باستعمال لغة قادة الوحدات القتالية في الحروب فقال ان عدد المتوفين «قليل جدا»، مستنتجا ان نسبتهم لا تتجاوز 14 في المئة الف قياسا بعدد الحجاج. هذا تماما ما يفعله قادة العسكر لرفع معنويات جنودهم كلما نالوا هزيمة مبرحة، فيجعلون من القتيل مجرد رقم في سرب او قطيع.

على السعودية التي ترفض تعويض الضحايا وتوهم ذويهم ان يكفيهم شرفا انهم ماتوا في تلك الارض، ان تفكر في حل يقلل من هيمنة العقلية التجارية على الحج ويعيد الحاج من مجرد رقم في قطيع ويعيده الى انسانيته.

بانتظار الفيروس!

■ بقدر افراط التلفزيونات الغربية في الاهتمام بأنفلوانزا الطيور فتشاهد فيها من الصور وتسمع من الاخبار ما يخيف، بقدر ما تبدو التلفزيونات العربية بعيدة وغير معنية كأنها في كوكب اخر فلا يرد فيها، إن حدث، الا ما توزعه وكالات الانباء العالمية، وهذا ما يفسر بث نفس الصور في اكثر من قناة.

يوم الاحد اعتدت قناة «يورونيوز» الاخبارية (احسن قناة اخبارية على الاطلاق) بث تقارير تلفزيونات غربية منها فرنسية والمانية وسويسرية وبلجيكية، عن المرض فوجدت نفسي امام عدد متتابع من التقارير الميدانية عن نفس الموضوع بصيغ مختلفة كادت تصيبني بذعر فغيّرت القناة.

فعلت كمن يهرب من امر واقع، لكني قلت ان من غير المعقول ان يهمل الاعلام العربي المؤثر هذا المرض الخطير، الذي قد يتحول الى آفة فتاكة، وهو في تركيا، يعني على ابواب سورية والعراق والسعودية.

طبعا، هناك غرور عربي محض تلحظه وانت تستمع الى مسؤول عربي يقول ان بلاده غير معنية وانها اتخذت التدابير المطلوبة، لكن الحقيقة لا اتخذت ولا يحرنون، لو حط الفيروس رحاله عندهم لفتك بهم جميعا.

شهرة بالملايين

■ على رأي اخواننا العراقيين، كانت «الدنيا مقلوبة» الاسبوع الماضي بشرق لندن امام مقر النائب البرلماني المتمرد والمشاكس، صديقنا وحليفنا في العداء لامريكا جورج بوش وتوني بلير، جورج غالواي.

مصدر الغليان مشاركة غالواي ببرنامج «الاخ الاكبر» الذي بدأت القناة البريطانية الرابعة بثه الاسبوع الماضي. ومحركوه ناخبون مسلمون، شجعتهم جهات حكومية مناوئة لغالواي، قالوا انهم اوصلوه الى البرلمان في اصعب امتحان وتحد لبلير ليمثلهم سياسيا ومؤسساتيا لا ليشارك في برنامج مثير للجدل بسبب شكله ومضمونه، تكرس في لاشعور العامة هنا انه مخصص لـ«قليلي الحياء» و«الفاضيين».

اقر انني لا امتلك شجاعة المشاركة في برنامج كهذا، وانني لم اشاهده باهتمام حتى في ذروة هوس الناس به في الماضي الغريب (كل معرفتي بـ«الاخ الاكبر» توقفت عند ما قرأت عنه في اليوم الموالي من بث هذه الحلقة او تلك)، لكنني، في المطلق، لا ارى خطأ في مشاركة رجل سياسة فيه طالما ان كثيرا من الفئات الاجتماعية الاخرى تشارك دون حرج.

تجمع السلسلة الجديدة من هذا البرنامج شلة من الشخصيات المتناقضة بينهم غالواي وعارضة جسد (لا ازياء) اشتهرت بنشر صورها في الصفحة الثالثة بجريدة «الصن» (قراء الصحيفة والذين يعيشون ببريطانيا يدركون لا شك معنى ان تقول الصفحة الثالثة) وسكريتيرة سابقة باتحاد الكرة الانكليزي (من اصل بنغالي) مرّغت مجد الكرة الانكليزية في الحضيض بعلاقات جنسية مثيرة مع مدرب الفريق (الانكليزي) السويدي سفين يورين اريكسون ومسؤول (ربما مسؤولين) اخرين بالاتحاد. وهناك اخرون.

وبين الجميع، غالواي هو الوحيد الذي اثار حضوره جدلا، مما يشير بوضوح الى ان البرنامج لا يزال حبيس القوالب التي وُضعت عنه في السنوات الماضية من انه شغل من لا شغل لهم!

واذا كان احتجاج الناخبين على غالواي يبدو صادقا ومفهوما الى حد ما، فان ما يمنحه مصداقية هو احتجاج اسرائيل الذي يعطي اشارة واضحة على ان غالواي لم يخطىء. احتجت اسرائيل ولوبيات موالية لها من ان عضو البرلمان البريطاني عن افقر منطقة بلندن سيمنح الاموال التي يتلقاها من المشاركة لجمعيات فلسطينية متهمة ظلما بانها «ارهابية» (رغم انها كسبت اكثر من معركة قضائية برأتها).

يبدو ان غالواي استعمل شعار مكيافيللي «الغاية تبرر الوسيلة»، فرأى ان لا ضرر اذا كانت مشاركته تفيد اتجاهه السياسي. وبما ان اسرائيل احتجت فمشاركته حتما ايجابية رغم ان ادارة القناة الرابعة اعلنت انها ستراقب وتمنع المقاطع التي يحوّل فيها مشاركته الى منبر سياسي.

اما على الصعيد الشخصي، واذا كان فعلا يبتغي شهرة، فهي تحققت له وزادت. يكفي ان صفحات الجرائد تتحدث عنه وتنشر صورته يوميا على مدار الاسبوع وحققت له شهرة ما كان يحققها لنفسه بالملايين.

* كاتب من أسرة «القدس العربي»
toufik@alquds.co.uk

وارضيات